**الندوة الثانية**

**هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة**

**التحديات السياسية والثقافية والحضارية**

**أدارها: الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس المجمع**

**وشارك فيها:**

**الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري، عضو المجمع**

**الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني، عضو المجمع**

**السبت 8 ذو القعدة 1412 هـ - 9 أيار 1992م**

**كلمة**

**الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفةرئيس المجمع**

 أيها الأخوة والأخوات,السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإنه من دواعي سروري أن أقدم لكم هذه الندوة التي تطرح قضايا مهمة، إن لم تكن أهم التحديات التي تواجهها أمتنا العربية الإسلامية في الوقت الحاضر. وإن الغرض من هذه الندوة، لا يتعدى إثارة الفكر وطرح القضايا التي تواجهها أمتنا العربية الإسلامية في أزمتها الحاضرة التي باتت تمسُّ هويتها ومقومات وجودها، وتثير الغبار من خلال (عاصفة الصحراء)، حول صدق الانتماء لهذه الأمة العظيمة التي تضرب جذورها بعيدة في أعماق التاريخ. وقد كرمها الله سبحانه وتعالى، فأنزل القرآن الكريم وحياً على سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، فحملت هذه الأمة لواء الهداية إلى الناس كافة. فكان الإسلام بتعاليمه السماوية، وقيمه الإنسانية السامية هو الذي حدد هوية أمتنا، وحفظ القرآن الكريم اللغة العربية، لغة الوحي. فهي لغة خالدة بخلود هذا الكتاب العزيز. وقد تكفل سبحانه وتعالى بحفظه، إذ يقول عز من قائل في كتابه الكريم: ((إنّا نَحْنُ نَزَّلنَا الذِكـْرَ وإنّا لهُ لحَافِظونَ)). سورة الحجر الآية(9).

فالقرآن الكريم هو الذي حفظ اللغة العربية، وبالتالي حفظ وجود أمة عربية، ولولا هذا الكتاب العزيز لجرى للغة العربية ما جرى للغات الأخرى التي بادت، أو تشعبت في لغات أخرى متباينة... فالعروبة والإسلام هما المادة الأصيلة التي كونت الذات العربية الإسلامية على مر العصور حتى أيامنا هذه. فقد خرج العرب المسلمون مجاهدين في سبيل

الله، يحملون لواء الهداية لبني البشر كافة. (فالناس سواسية كأسنان المشط)، ولا فرق بين أسود وأبيض وأصفر، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. فنشأت أمة عربية إسلامية، وتحددت نظرتها إلى العلم والحضارة والكون والإنسان من خلال تعاليم القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. فأحلَّ الإسلام الإنسان مكانة سامية، وجعل العقل والفكر أهم ما يميز الإنسان من بقية المخلوقات. وجعل طلب العلم والمعرفة فريضة على كل مسلم ومسلمة... وأصبح البحث عن المعرفة، تسبيحاً لله في ملكوته.. فالعالم الباحث عن المعرفة في مختبره وبين آلاته وأجهزته.. وفي مكتبته... يسبح الله في ملكوته.. فالبحث عن المعرفة عبادة... هذا هو أيها السادة، جوهر حضارتنا العربية الإسلامية، بلسانها العربي ونظرتها الإنسانية الشاملة، واحترامها العقل وحثها على طلب العلم والبحث عن المعرفة...

إن هذه المقومات جميعها قد بنت عبر القرون الهوية العربية الإسلامية، وهي مرتبطة بنواميس هذا الكون، التي سخّرها سبحانه وتعالى لحفظ كتابه العزيز ولغته العربية. فالقوانين، والنواميس التي تحكم الحوادث الإنسانية والمجتمعات البشرية تتم بمعزل عما يحب الإنسان ويكره، وإن الإرادة وترجمتها إلى الأفعال، قد تعيق مسار الأحداث، وتشوهها، ولكنها لا تستطيع أن تلغي طبيعة هذه القوانين.

فالهوية العربية الإسلامية، ليست قضية اختيار، يمكن أن يتبرأ منها حكام قطر من الأقطار، أو أن تلغيها مؤسسات استعمارية طامعة أو مسؤولون حاقدون على العروبة والإسلام. ولا أدل على ذلك من البحوث التي نظمت في أوروبا وفي أمريكا حول انتهاء وجود ما يسمى "أمة عربية" أو "هوية عربية"... وقد حدث هذا ويحدث في كل مرة تتعرض فيها أمتنا إلى الغزو، والحملات الاستعمارية.

ولا أذيع سراً إذا قلت، لقد وجدت لجنة المحاضرات والندوات في مجمع اللغة العربية الأردني أن الأمة العربية الإسلامية تجابه تحديات شاملة في العقيدة والإعلام والتقيات والثقافة والحضارة والسياسة.. فقد اجتمعت اللجنة لاختيار إطار عام للموسم الثقافي العاشر لهذا العام.. فرأت أن "عاصفة الصحراء" قد تركت آثاراً مدمرة في كيان أمتنا العربية الإسلامية.. وإنّ النظرة العلمية العميقة تدلنا على أن هذا الزلزال، قد أظهر على السطح ما كان مستوراً بأقنعة مختلفة... فقد طفت على السطح ما أحكمت التخطيط له الدوائر الاستعمارية وصنائعها من أصحاب المصالح والمطامح الإقليمية والقطرية والطائفية... وقد امتدت هذه السياسات لتتجاوز استنزاف الموارد الاقتصادية والنفطية إلى استنزاف الفكر والمفكرين، وتسخيرهم في متاهات الخلاف، لإذكاء نار الصراعات بأشكالها المختلفة، وإنَّ من يمعن النظر في هذا كله، يخلص إلى أن ذلك كله يتم لخدمة أعداء الأمة والنيل من مصالحها العليا ومقومات وجودها.

ونحن إذا أعدنا النظر، ومن خلال الغبار الكثيف الذي أثارته "عاصفة الصحراء" فيما آل إليه وضع أمتنا العربية الإسلامية، منذ الحرب العالمية الأولى حتى الوقت الحاضر، نخلص إلى أن التجزئة والتخلف والوحدة والغزو الصهيوني الاستعماري، هي أهم المشكلات التي تجابهها أمتنا العربية الإسلامية في وضعها الحاضر... فقد انتهت الحرب العالمية الأولى بتجزئة الوطن العربي، إلى دويلات وإمارات ومشيخات تحت النفوذ الأجنبي، وبالتمهيد للغزو الاستعماري اليهودي لفلسطين.. وانتهت الحرب العالمية الثانية سنة 1945م، وبدأت حركات التحرر تأخذ طريقها في جميع هذه الأقطار.. وكان المواطن العربي يعتقد إذ ذاك أن الاستقلال والتحرر يعني الوحدة... ومضت السنون... ويحقق الغزو الصهيوني الاستعماري أهدافه... وتنهار شعارات التقليد الأعمى وتسقط

الأقنعة.. ويمعن الاستعمار بتحالفه مع الصهيونية العالمية، في سياسة التجزئة وإثارة الصراعات الداخلية واستنزاف الفكر والمفكرين بعد استنزافه الموارد الاقتصادية والنفطية...

فإلى جانب مشكلة التجزئة انهارت جميع مشاريع الوحدة، من الوحدة المصرية السورية في زمن عبدالناصر إلى الوحدة الهاشمية بين الأردن والعراق... إلى وحدة الضفتين... والاتحاد العربي الصوري بين مصر والأردن والعراق واليمن، فقد انهار هذا الاتحاد!! منذ اللحظات الأول لهبوب "عاصفة الصحراء".

وإلى جانب مشكلة "التخلف" العلمي والتقني، تطفو أزمة الفكر العربي الإسلامي وربما لا نعدو الصواب إذا قلنا إنها أزمة بين التقليد والإبداع، وبين النظرية والتطبيق، وبين الفكر والسياسة.

وإلى جانب مشكلة "الوحدة" أيضاً تطفو على السطح قضية اللغة العربية. فالعربية في الوقت الحاضر تشكل العنصر الوحيد الذي ما زال يجمع الدول العربية، ومن هنا تمتد الأيدي الخفية والظاهرة إلى إقصاء اللغة العربية عن دورها العلمي والقومي في الجامعات العربية، ومؤسسات البحث العلمي.. ففي إبعاد اللغة العربية عن سيادتها في أوطانها، تثبيت للتجزئة، وإدامة للقطرية، والتبعية السياسية والفكرية.. وإقصاء العربية عن أن تكون لغة التدريس الجامعي، والبحث العلمي في الجامعات العربية، والمؤسسات العلمية هو تثبيت لحالة التخلف العلمي والتقني, وإدامة لحالة التبعية والتقليد الأجوف.

وإلى جانب ذلك كله، تتجدد الحملات الاستعمارية الغازية في بلاد الشام مستهدفة فلسطين في مراحلها الأولى، متمثلة بالاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وفي الجزيرة العربية ومناطق الخليج، مستهدفة ثرواتها النفطية، ومتمثلة بشركات الاحتكار العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

وإلى جانب هذه الحملات الاستعمارية العسكرية والاقتصادية، يشن هذا الحلف الاستعماري الصهيوني حرباً تستهدف المقومات الأساسية للفكر العربي الإسلامي وثقافته وحضارته.

وخلاصة القول، فإن التحديات التي تواجهها أمتنا العربية الإسلامية في جميع مناحي الحياة، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، هي تحديات تقتضي بالضرورة، البحث في إعادة بناء الذات العربية الإسلامية التي نسعى لبنائها، وتحديد سماتها، وتوطيد دعائم علاقاتها بالشعوب الإسلامية، وتفتحها الإنساني على كل ما هو حق وخير وعدل. ولن يتم لنا ذلك إلا بتوطيد دعائم "حرية الفكر، واحترام حقوق الإنسان" لكي يستطيع المفكر العربي على مختلف اتجاهاته أن يبدع، وأن يضيف إضافات أصيلة وجديدة، إلى فكر الأمة العربية الإسلامية وثقافتها ومنجزاتها الحضارية، ومن أجل استعادة أمتنا دورها الحضاري في بناء حضارة إنسانية متقدمة ومزدهرة.

**كلمةالأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوريعضو المجمع**

تواجه الأمة العربية في الفترة المعاصرة تحديات خارجية وتحديات داخلية.

وقد نبدأ بالغزو الغربي لهذه الأمة لنشير إلى ما مثله من تحد حضاري وتهديد للهوية، وإلى استعمار رافقه تمزيق البلاد ومحاولة للاستحواذ على الثروات وسعي لفرض التبعية.

وقد نصل إلى أزمة الخليج وما أحدثته من دمار وتمزق. حدث هذا والأمة في حالة تخلف، تسعى لبناء نفسها، والغرب في تقدم متسارع، كل هذا معروف.

وقد نشير إلى محاولات للتحديث والنهضة، بدءاً بتحديث الجيش والسلاح، إلى إنشاء المدارس وتحديث التعليم لمواجهة الغرب بأسلحته دون استيعاب لعلمه، وإحداث ازدواجية فكرية وثقافية.

كما قد نشير إلى السعي للإحياء وللنهضة بحركات إسلامية سلفية أو تحديثية إصلاحية، أو أصولية (كما يقال) أو عربية قومية.

ثم نلتفت فنرى من بدأ في هذا الاتجاه لبناء المجتمع بعدنا، مثل اليابان، قد تجاوز التخلف وامتلك عناصر القوة. وقد يكون أدرك سبيل تطبيع العلم قبل أن ندركه، ولكننا نراه وقد امتد به الزمن في تحركه في حين تآلب الغرب علينا في بداية المسيرة وبذل كل جهد ليقطع الطريق أو ليحرفه. وإذا كان غيرنا حافظ على وحدته، كان علينا أن نسعى في سبيل الوحدة لنجد الغرب يقف في وجهنا كلما قامت حركة بيننا تتجه نحو الوحدة لقرن أو أكثر إسلامية المنحى أو عربية الاتجاه.

كما ساند إسرائيل لتحدث نزفاً دائماً في القوى والثروة، ولتسهم في كيل الضربات لبوادر التحرك والنهضة، ولتؤكد التمزق.

ولا أريد أن أنسب ما نعاني إلى التحديات الخارجية وحدها، فلدينا تحدي التخلف، والتجزئة، وغياب المؤسسات، وانعدام الحرية وغيرها، ولكني أريد تبيّن الطريق.

وهبّت رياح التغيير في الغرب، اتجاه نحو الإصلاح في طريق الديمقراطية في روسيا ليمتد إلى الكتلة الشرقية بكاملها، وتحرك في طريق الكيانات الإثنية أو القومية، واتجاه نحو تفرد قوة عظمى في الساحة الدولية. وكان تساؤل: هل نحن خارج الإطار العالمي أو سنتحرك في وجهة مصير نختاره، أو ننتظر أن يغيّر غيرُنا وضعنا؟

وجاءت أزمة الخليج لتعصف. وكان واضحاً أن ما يسمى بالنظام العربي فقد فاعليته وتخطته الأحداث، وأنه بحاجة لإعادة النظر، أو لإقامة نظام عربي جديد.

جاءت أزمة الخليج تهز الأمة بعنف، ولن نسأل إن كانت نتيجة لانقسام البلاد العربية ولعجز النظام العربي، أو كانت سبباً لتدهور النظام العربي.

ولكنها تمثلت في كسر بوادر الإرادة العربية المستقلة، وفي السيطرة على الثروة الطبيعية الأساس (النفط)، وفي ضرب أي تطبيع للتقانة والانتقال من نمط الاستهلاك في العلم إلى الاتجاه نحو المشاركة فيه، وإلى تعميق الانقسامات لتتجاوز الحكومات والأنظمة إلى المثقفين، وإلى تحويل تجربة المجتمع العربي إلى صورة جوفاء... كما كشفت عن عجز الجامعة العربية، وانتهت إلى التشكيك بوجود الأمة إن لم نقل الهوية. ولكنها في الوقت نفسه أثارت فكرة التضامن العربي والإسلامي على المستوى الشعبي، وكشفت عن وحدة الشعور العربي الإسلامي في المغرب والمشرق، وفتحت الباب بشكل أوسع أمام حوار أكبر بين النخب الإسلامية والقومية.

يرى البعض، أن الدور الحضاري للأمة قد يتحدد بالتحديات التي تتعرض لها والرد على هذه التحديات.

والتحدي الأكبر في العصر الحديث كان ولا يزال يتمثل في المواجهة مع الغرب، في الماضي القريب والحاضر.تمثل التحدي أولاً في الغزو الغربي الاستعماري الذي بدأ بالأطراف ثم اتجه إلى المركز، ورافقته التجزئة السياسية والعمل على فرض التبعية الاقتصادية، وكان الصراع لتحرير الأوطان، ولتحرير الإرادة العربية والإسلامية، ولتجاوز التبعية، ولكننا جوبهنا بركيزة استعمارية استيطانية توسعية في قلب الأمة حتى صارت التحدي الأخطر.

وانتقلنا من الاستعمار التقليدي إلى الجديد الذي يسخر البشر والموارد لخدمة مصالحه ويربط الاقتصاد به، وكانت الولايات المتحدة طليعته ورائدته.

وبعد انهيار الشيوعية، وما رافق حرب الخليج من تعبئة غربية، بدت بوادر التحول إلى وضع جديد، تتفرد فيه بالعالم قوة عظمى هي الولايات المتحدة، تنادي بالشرعية تحت مظلة الأمم المتحدة وبحقوق الإنسان وبالدعوة للحلول السلمية للمشكلات الإقليمية، لتفرض السلام الذي تريد والذي يخدم مصالحها بالقوة أو بغيرها، ولتتخذ ما يناسبها من مقاييس لا تخلو من ازدواجية ومن غياب القيم في التعامل الدولي.

ووجدت الأمة نفسها في حالة ضعف وفرقة، إنْ لم نقل حالة عجز من مواجهة مشكلاتها الرئيسية، وتركت الأبواب مفتوحة للتدخل والهيمنة الخارجية.

إن هذا الوضع يتطلب جهوداً كبيرة للارتقاء إلى مستوى التحدي للإصلاح ولتخطي الخلافات مع السعي لمزيد من التلاحم بين البلاد العربية.

وما يلاحظ في النظام العربي توزع عناصر القوة بشكل يحول دون قدرة أي قطر عربي بمفرده على قيادة النظام العربي، فتعدد القوى التنافس بين بعضها يمنع المقدرة على المواجهة.

والجامعة العربية التي أقيمت لتنظيم التعاون بين البلاد العربية وتنسيقه في إطار المحافظة على سيادتها لم تتمكن أو تـُمكـّن من الجمع والتوحيد، وفقدت مجال الفاعلية الذي كان لها.

ومن هنا ظهرت أزمة النظام العربي في أواخر الثمانينيات، أو اختلال العلاقات العربية الأمر الذي أدى إلى غياب إرادة عربية واحدة. وقوّى الاتجاه إلى تأكيد الدولة القطرية، وتغليب المصالح القطرية والجزئية على العربية.

ولكن الدولة القطرية في عصر التكتلات أو القوة الطاغية لا توحي بالأمن أو الثقة (وقد ثبت فشلها). لذا هُدّد الأمن العربي من أكثر مصدر.

هذا إلى التقلص المتزايد لاستقلالية النظام العربي (قدرته على الحركة إزاء النظام الدولي). وكان من أثر الثروة النفطية (المقترنة بالقطرية) مزيد من دمج اقتصاد عدد من الأقطار العربية بالنظام الرأسمالي العالمي، وتعاظم المصالح الاقتصادية الغربية في البلاد النفطية.

كل هذا يتطلب التفكير بتكوين نظام جديد في مستوى التحديات. التحد ي الرئيسي هنا هو التجزئة المضادة للاتجاهات الموحدة. وقد وقف الغرب دائماً في وجه المحاولات الوحدوية، تحت راية إسلامية أو عربية. وكل حركة نحو الوحدة قاومها الغرب في الماضي والحاضر. وقد تلتقي المصالح الإقليمية مع وجهة المصالح الغربية عمداً أو بدون عمد كما حصل غير مرة، مما يزيد في خطر التجزئة.

وفي فترات الأزمات الكبرى، يظهر اتجاه الشعوب الوحدوي بصورة عفوية.

إن التهديد الأخطر هو إسرائيل، التي تسعى إلى تقسيم المنطقة العربية وبلقنتها.

وسعت إسرائيل من مفهومها الأمني لكي تشمل منطقة الشرق الأوسط إلى باكستان شرقاً، وأوغندا جنوباً (الهجوم على المفاعل النووي العراقي، حزيران 1981، والغارة على تونس في أول تشرين 1986 م). الخطر العسكري الإسرائيلي استهدف تحقيق التفوق العددي والنوعي على أي قطر عربي على حدة، (ومن هنا أهمية التجزئة لها) مع التفرد (الآن) في المجال النووي، وتقدم واضح في مجال الصناعة العسكرية.

وإسرائيل مشروع لم تكتمل ملامحه النهائية بعد برأي أصحابه، إنه مشروع قابل للامتداد والتوسع والسيطرة. وهي قبل دخولها مرحلة التفاوض، وبعدها تتطلع إلى تكثيف الاستيطان في الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة عام 1967م، لتكريس الواقع الذي تريده، فيما يفترض أن يكون فترة (انتقالية)، فلا يبقى على أرض الواقع ما يتفاوض عليه عملياً. كما أنها تعمل على متابعة الهجرة لليهود السوفييت وتنشيطها.

وفي هذا الوضع فإن قدرة الطرف العربي على التأشير على العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ضئيلة.

ولكن الانتفاضة في الضفة الغربية، وقطاع غزة من فلسطين المحتلة (بدأت في كانون الأول 1987)، تمثل تحدياً جديداً وغير تقليدي لإسرائيل، مما يبين أهمية دعمها (التلاحم معها وتصعيدها). وعلى كل وبصرف النظر عما يجري للتسوية، فإن الخطر الإسرائيلي باق وتهديده مستمر.

لست بصدد المبالغة في تصوير الأخطار، أو في كشف حالة الضعف العربي، بل أقول إننا بحاجة لإعادة نظر في التفكير والنظرة للمستقبل.

إن التحدي الأول للأمة هو تحدي الوحدة أمام التجزئة. فالوطن العربي يتعرض كمجتمع، وثقافة، وحضارة، لمواجهة شاملة، ولن

يستطيع تجاوز الأزمات أو تحرير إرادته إن لم ينجح في العمل باتجاه الوحدة بشكل أو بآخر.

هذا يثير تساؤلات: هل الخيار بين الوحدة/ الاتحاد، وعدمها، أو أن هناك خطوات ومراحل يمكن اتخاذها مثل تشجيع أية خطوات توحيدية أو مؤسسات ومخططات عربية؟ كيف تعالج مسألة الانتماء المزدوج بين القطري والعربي؟ هل يدخل عنصر القوة في مجال العمل الوحدوي؟ هل يتجه العمل الوحدوي إلى الجماهير لدعمه؟ وهل يكون الأسلوب الديمقراطي سبيل إقرار الوحدة/ الاتحاد؟.

ألم تكشف الجماهير بصورة عفوية في الأزمات عن تحدي الهيمنة الاستعمارية أميركية وغربية؟ ألم تتخذ وجهة وحدوية وتناصر استقلال الإرادة العربية ؟.

كيف تعالج مشكلة الأقليات والجماعات الإثنية (البشرية) المختلفة في الوطن العربي؟ كيف يمكن تجاهل الاختلاف في الظواهر الاجتماعية والاقتصادية السائدة في الوطن العربي؟ كيف نتعامل مع الاختلاف بين أسس شرعية النظم السياسية العربية القائمة ؟.

ألا توجد حاجة لوضع رؤية متكاملة أو شبه ذلك بالنسبة إلى موضوع الوحدة/ الاتحاد من حيث الاتجاه والمؤسسات، وربما الآلية؟ ألا نفحص جهودنا السابقة في هذا الاتجاه لنتبين الثغرات، ولننقد الفرضيات ولنقوّم الخطوات، ونقف على أرضية أصلب للمستقبل؟.

قد يشار إلى خطوات على الطريق، مثل إقامة نوع من الاتحادات الإقليمية، أو تعزيز الجامعة العربية ومحاولة إصلاح نظامها لتكون أداة توحيد لا أداة تحييد، أو إقامة تنظيمات ومؤسسات عربية عامة، تبدأ متواضعة وفعالة، ثم ألا يعتمد كل هذا على توافر الإرادة السياسية الفاعلة ؟.

ألا نلاحظ هنا غياب القاعدة الشعبية للتضامن العربي، إذ الشعوب العربية هي بحق البعد الغائب في تجارب التضامن والتكامل العربي؟.

ألا نلاحظ - كما حصل أثناء الأزمة- أنه لم تسلم مجموعة أو تيار سياسي من تحليلات ومواقف متناقضة داخل الكيان السياسي أو الحزبي الواحد؟ ألم تظهر الأحداث انعدام الرؤية المستقبلية الجادة مع انفصام عن الواقع ؟.

وإذا أريد للعمل الوحدوي ألا يكون مشروعا فردياً، بل مشروعاً يستند إلى القواعد الشعبية وإلى إسناد الجماهير، فلنتذكر أن الشعوب ليست لديها مؤسسات للتعبير عن تطلعاتها، إذ كانت تكتفي عادة بالتعبير العفوي عن وجهتها ورغباتها.

وهذا يأخذنا إلى التحدي السياسي الآخر، تحدي الديمقراطية أو الشورى، بما يتطلبه ذلك من توفير الحريات واحترام حقوق الإنسان.

لقد دلت الخبرات والتجارب على أن الديمقراطية يجب أن تأتي في مقدمة الأولويات. إن التاريخ المعاصر للمنطقة يؤكد أن معظم الأزمات فيها - بما فيها أزمة الخليج- تتصل بغياب الديمقراطية. ففي نطاق أنظمة سلطوية يتمتع فيها الحاكم بصلاحيات غير محدودة تسمح له باتخاذ قرارات مستعجلة أو خطيرة قد لا تكون دائماً في صالح الأمة.

وفي هذه الحالة تبقى الأنظمة ضعيفة بنيوياً وعاجزة عن مجابهة التحديات، وبخاصة الخارجية دون مشاركة الشعب السياسية.

إن المستقبل للشعوب الحرة، وحرية الإنسان ضرورية لتفجير طاقاته. وشرط الحرية هو طرد المحتل الأجنبي، ثم إن الحرية مع التعددية السياسية، وحرية المجتمع المدني في تنظيم نفسه.

فلا بد من الاعتراف بحقوق الإنسان وبحرياته السياسية حقه في التعبير عن آرائه، ومعتقداته بمختلف الوسائل وحقه في المعرفة، وفي تشكيل الأحزاب والمنظمات والجمعيات، وحقه في المساواة، وحقه في المشاركة السياسية. والديمقراطية أو الشورى لا تكون دون مؤسسات تجد الفكر السياسي وتنتقل بالديمقراطية/ الشورى من إطار النظرية إلى واقع الممارسة.

ولدينا في تاريخنا الكثير من الفكر المتميز في الشورى، ولكن المشكلة التاريخية عندنا تتصل بغياب المؤسسات السياسية، ولا بد من معالجة هذه الثغرة إن أردنا أن يكون للفكر معنى.

إن التحدي الأكبر للثقافة العربية الإسلامية، وللهوية يتمثل في المواجهة مع الحضارة الغربية وما يتصل بذلك من أثار.

وكان في طليعة هموم الأمة بعد موجة الغزو الثقافي والحضاري الغربي مسألة الهوية، وما قد تتعرض له من تحريف أو طمس، والعمل على الحفاظ عليها وتثبيتها.

وواضح أن الغرب - أوروبا وأمريكا- يتجه إلى طمس الشخصية الثقافية للأمة وقيمها، وإلى التحدث عن ثقافة واحدة هي الغربية، وإلى الترويج لثقافة عالمية واحدة انتهت إليها البشرية.

وكان السؤال ما الموقف من الحضارة والثقافة الغربية ؟

ابتداءً المشكلة في الأساس، كما عرضت، تخلف العرب والمسلمين تخلفاً واضحاً عن إنجازات الغرب في الفكر، في العلم والتكنولوجيا، في المؤسسات، بل ذهب بعضهم إلى الإشارة إلى قواعد السلوك ونمط التفكير، وليس في نظر هؤلاء من مشكلات لدى الأمة ما لا يحله العلم والعقلانية والتكنولوجيا. هل الحل إذن في تقليد جديد؟.

رأى آخرون أن المشكلة تتلخص في إهمال التراث وفي تخلي المسلمين عن أصول الدين ومبادئه وقواعده وهي صالحة للتطبيق أبداً، وفي اتباعهم

لفكر مستورد غريب عليهم ولثقافة بعيدة عنهم. هل الحل إذن في العودة إلى الأصول أو إلى فترة الإسلام الأولى؟.

وبين الاتجاهين مسلك توفيقي يرى الالتفات إلى التراث مع الأخذ من خير ما جاء به الغرب. ويأتي السؤال: هل يمكن التجزئة في الثقافة والفكر؟ وهل يمكن فصل العلم والتكنولوجيا عن نواحي الفكر الأخرى بل عن القيم والمثل؟.

لن ندخل في جدل استمر طويلا.ً ولكن هل يمكن البناء الثقافي دون قاعدة ثقافية أصيلة؟ هل يمكن استيعاب التكنولوجيا دون تطبيع؟ هل يستطيع التحرك والتقدم في الثقافة من لم تكن له هوية؟ هذه قضايا تستحق كل عناية وتفحص.

ولكن ما أسس هوية الأمة أو مقوماتها؟ أمامنا أكثر من اجتهاد. بين من يرى الإجابة في الإسلام عقيدة ونظاماً للحياة. وبين من يرى الإجابة في العربية لغة وثقافة، وفي التراث.

وفي مواجهتنا للتحديات الخارجية والداخلية في العصور الحديثة وقبلها كانت الهوية تتحد بالعربية لغة وثقافة وبالإسلام قاعدة ومحتوى.

هذا ويلاحظ أن جماهير الأمة العربية تحفظ في وجدانها هذا الترابط بين الإسلام والعربية كما يتبين في فترات التأزم الحاد أو الشعور بالأخطار التي تهدد الأمة.

ويرتبط بهذا مباشرة التأكيد على أهمية العلاقات بين الوطن العربي ودول الجوار الإسلامية لانتمائها جميعاً إلى دائرة العقيدة والحضارة الإسلامية. والعلاقات القائمة معها الآن تمثل تحدياً جانبياً، له جذور تاريخية واختلافات حديثة. ويجدر بنا التأكيد على الدائرة الإسلامية لاتخاذ موقف يعزز وضع الجهتين.

عقدة الخلافات العربية التركية، المسؤولية عن انهيار الدولة العثمانية، والاسكندرونة، ومياه الفرات، والاتجاه الغربي. عقد الخلافات الإيرانية العراقية، نظرة كل طرف إلى دور الأخر في التاريخ، مشاكل الحدود وشط العرب والجزر العربية الثلاث.

لا تعدو هذه الملاحظات أن تكون مؤشرات عامة. ولكن هذا المجال لا يزال تحيطه عموميات ويعوزه الوضوح، ويتطلب جهداً مركزاً ومتصلاً يتعدى المفاهيم العامة والشعارات.

 ويكفي أن نشير هنا إلى اللغة العربية والتراث بملاحظات عامة:

فالعربية ليست مجرد وعاء للثقافة والتراث، على أهمية ذلك وخطورته، بل هي أيضاً أسلوب تفكير، ووسيلة اتصال واستمرار لوجود الأمة. واللغة تعني نظام القيم الجماعية والفردية من خلال تعابيرها ومفرداتها.

والعربية تعبّر عن المستوى الفكري والثقافي لأهلها (وهي بعد وقبل رابطة أولى بين أهلها). وهي التي ترسم إطار الهوية العربية.

والعربية لغة الثقافة، والثقافة ليست أدباً وحسب كما يفترض، بل تشمل حقول المعرفة بما فيها العلوم، ويجب تأكيد هذه الناحية لئلا تكون ثقافة عرجاء. ومن هنا كان لازماً التدريس والبحث والكتابة في كافة الحقول بالعربية.

لقد ارتفعت الدعوة للتدريس بالعربية في جميع المراحل، بوصفها رابطة بين أبناء الأمة وأداة تربوية فعالة في ترسيخ قيمها ومعالم شخصيتها ولتسهم في تعميق وحدة الفكر بين أبنائها.

وإذا كان القرار السياسي لازماً لتعميم التعليم في مراحله المختلفة بالعربية، فيجب أن يتحمل أعضاء هيئة التدريس مسؤوليتهم بالمبادرة إلى التدريس بالعربية دون انتظار القرار، وربما ساعد ذلك على اتخاذه في وقت أقرب.

ويجب أن يكون البحث والكتابة بالعربية، فالبحث أساس للتقدم العلمي كما هو لإغناء الثقافة. وبعد هذا فلن نتمكن من الإبداع والمساهمة والتقدم العلمي إن لم نكتب أبحاثنا بالعربية. ويجب أن تؤكد الجامعات ومراكز البحوث استعمال العربية في الأبحاث، فالتحدي الأكبر الذي يواجهنا في العلم والتكنولوجيا هو في هذا المجال.

وبعد هذا يجب التوسع في نشر العربية الفصيحة وإيجاد الوسائل اللازمة لذلك، لأن اللهجات العامية تبعد العامة عن الفكر وتضعف الصلة بين قادة الفكر والجماهير، وقد تعني الانقطاع عن جذور الثقافة وأصالتها، كما أنها تساعد على الفرقة بين أبناء البلاد العربية.

والتراث في صلب هوية الأمة، وفيه مقومات شخصيتها. هل لدينا مفهوم واحد للتراث؟ قد يفهم بالتراث كل نتاج المسيرة التاريخية للأمة من علوم (عربية، وإسلامية، وعلوم الأوائل)، وصناعات وفنون وقيم، وقد يُفهم به الإنتاج الفكري لأمة أو جانب منه كأن يشار إلى الأدب أو الفقه والتشريع.

وقد يفكر بما هو حي من التراث أو الجوانب التي لا تزال تؤثر في حياتنا ونظرتنا. كل هذا يتطلب موقفاً ونظرة واضحة إلى التراث.

والحديث عن التراث يتصل بالاتجاه السائد عن (الأصالة) و (المعاصرة) أو الجمع بين ما يفهم بـ (التراث) وما يفهم بـ (المعاصرة).

وهذا يثير نقطة أخرى: كيف نتعامل مع التراث؟ هل المراد إحياء التراث؟ إن هذا ييسر التعرف إلى التراث ولكنه يمثل مرحلة أولية. ولا بد بعد ذلك من تحليله وفهمه إذا أريد الإفادة منه في حياة الأمة.

وهنا نتساءل - هل نبحث في التراث لتسويغ مفاهيم وأمور وقيم حديثة بشكل انتقائي لإضفاء شرعية عليها؟ وهل يمكن أن تكون لنا أصالة عن هذا الطريق. أو نبحث في التراث عما يمكن أن يفيد في مواجهة مشاكلنا وحاجاتنا لصلته بتكويننا الحضاري والخلقي والنفسي

والفني؟ قد يكون ذلك بصورة إيجابية أو يكون لتلافي سلبيات فشل (الشورى والمؤسسات).

 ثم هل ندخل التراث في تكويننا الثقافي وفي بناء الشخصية، وذلك بتمثل التراث أو جوانب منه وتقديمها للناشئة ولغيرهم؟ إن هذه ناحية مهمة. يكون ذلك بعرض نصوص وقراءات من الإنتاج الفكري والأدبي المتميز للأمة.

والتراث في فترات التجزئة له أهمية خاصة، ففي تمثـّله والاستناد إليه تأكيد على المشترك الذي يعزز الاتجاه للوحدة. التراث يمكن أن يكون عامل توجيه ثقافي ونفسي وأخلاقي وفني.

وبعد فالتعرف إلى إنجاز الأمة الحضاري في فترات ازدهارها، في مثل فترات القلق أو الضعف، فيه بعث للهمم واستعادة الثقة وإثارة للطموح، على أن يكون ذلك على أساس من الوعي والأمانة.

ويحسن أن يلاحظ أن العناية بالتراث يجب أن تكون بعيدة عن التعصب أو الانغلاق أو التقليد. إنّ أزهى فترات الحضارة العربية الإسلامية فترات الانفتاح والحيوية.

**كلمة**

**الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلانيعضو المجمع**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى أله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها العلماء الأجلاء، أيها الأخوة الكرام.

يسعدني أن أشارك، في هذه الندوة، عَلميْن من أعلام الأدب والتاريخ، وأن ألقي الضوء على بعض التحديات الثقافية والسياسية التي تواجهها أمتنا من خلال النقاط التالية:

1. بيان المقصود بالتحديات.
2. كيف وجه القرآن الكريم هذه الأمة لمواجهة هذه التحديات.
3. كيف وجه النبي العظيم صلى الله عليه وسلم أمته لمواجهتها.
4. التحديات في نظر ساسة الغرب فكراً وسياسة وخططاً.

أما المقصود بالتحديات فهو العقبات التي لا بد من اجتيازها؛ والأخطار التي لا بد من دفعها والأعمال التي لا بد من القيام بها للحفاظ على وجود الأمة، وتحقيق أهدافها، ودفع أسباب الهلاك عنها. والأمة العربية والإسلامية تملك قوة العقيدة والدين الذي يوحد بين أبنائها ثقافة وحضارة وتاريخاً، وتملك قوة العقيدة التي تبعث في أبنائها روح الجهاد والصبر والمقاومة، وتملك قوة اللغة الشريفة المقدسة وهي لغة القرآن الكريم وما تحمله من فكر حضاري وقيم إيمانية إنسانية ترسخ وحدة هذه الأمة وتملك كنوز التاريخ المجيد الذي يعبئ أبناءها، ويذكي فيهم روح العزة وشرف المقاومة والجهاد، والبناء والإعمار، وتملك الوطن المتكامل بموارده الاقتصادية وثرواته البترولية والمعدنية وموقعه الاستراتيجي

العظيم بين القارات، فإذا ملكت هذه الأمة القوة العلمية والصناعية والآلة العسكرية، ورسخت وحدتها السياسية والاقتصادية والثقافية، شكلت القوة العالمية التي تحرم الدول الاستعمارية من هيمنتها واستباحتها بلاد المسلمين واستلابها خيرات بلادهم.

**القرآن الكريم ينبه لهذه التحديات:**

وقد نبه القرآن الكريم للتحديات السياسية والثقافية في قوله تعالى:((َوَمَنْ أظلمُ مَمنْ مَنَعَ مَسَاجدَ اللهِ أنْ يُذكـَرَ فِيهَا أسْمُهُ وسَعَى في خرَابهَا أوُلئكَ مَا كـَانَ لهُمْ أنْ يَدْخُلوهَا إلا خائِفِينَ لهُمْ في الدُّنيَا خِزيٌ وَلهمْ في الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ)) (البقرة آية 114).

فنبه القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة إلى اعتداء القوى الظالمة المستبدة على مساجد الله وحجب رسالتها، وهدايتها، حتى تحرم الأمة مد النور الذي يبدد الظلام ومن الحق الذي يزهق الباطل، ليبقى أهل الباطل في حصون باطلهم، كما نبهت الآية الكريمة إلى واجب الأمة الإسلامية في تحرير بيوت الله والأرض التي تقام عليها بيوت الله حتى لا يدخلها هؤلاء الظالمون إلا في ظل حماية المسلمين وإذنهم وإعطائهم الأمان للراغبين في الدخول إلى هذه الأرض تحت السيادة الإسلامية. وقد ذكر المفسرون أن المقصود بالمساجد في الآية: المسجد الذي عطل عن رسالته في بلاد الشام وهو المسجد الأقصى في فلسطين والقدس الشريف، والمسجد الحرام في مكة المكرمة والجزيرة العربية.

وقد نبهت هذه الآية الكريمة إلى وحدة بلاد الجزيرة العربية وبلاد الشام الشاملة لفلسطين والأردن وسورية ولبنان ممتدة إلى مصر والعراق باعتبارها أرض الدعوة والمساجد الأوَل وحصن الإسلام وقلعته الأولى، فهي وحدة سياسية ثقافية حضارية روحها الرسالة الإسلامية.**النبي الكريم ينبه أيضاً لهذه التحديات:**

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الوحدة السياسية الثقافية الحضارية بقوله: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى "حديث صحيح".

كما نبهت معجزة الإسراء والمعراج إلى الربط بين مكة المكرمة والقدس الشريف باختيار الله أرض فلسطين والقدس الشريف من بين بقاع الأرض، مسرى لنبيه صلى الله عليه وسلم، كما اختارها قبلة أولى يصلي إليها المسلمون وهم في مكة المكرمة لمدة ثمانية عشر شهراً.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان) ما فرضه الله على المسلمين من تطهير جزيرتهم من أي وجود أو نفوذ غير إسلامي لتبقى هذه الجزيرة قلعة حصينة للدعوة الإسلامية.

كما وجه النبي أمته لتحرير أرض فلسطين وبلاد الشام بإنفاذه كتائب المجاهدين لغزوة مؤتة التي تمثل أول مواجهة عسكرية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحرير بلاد الشام ومنها أرض فلسطين والقدس الشريف. كما نبه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لهذا الهدف بقيادته الشريفة للمسلمين في غزوة تبوك لمواجهة جيوش الرومان، ولإخضاع المحميات العربية الموالية للروم وتحريرها وتحويل ولائها للدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وبعقده صلى الله عليه وسلم اللواء لأسامة بن زيد قبيل وفاته حتى تطأ خيله أرض (الدراون) من أرض فلسطين.

كل هذه الأحداث تدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على وحدة بلاد الجزيرة العربية وبلاد الشام وتحريرها ممتدة ًإلى مصر والعراق، لتكون قاعدة الإسلام الحضارية والثقافية محررة من كل سيطرة أجنبية.

هذا والدارس للتاريخ الإسلامي يجد كيف كانت المساجد الثلاثة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، في ظل الدولة الإسلامية الواحدة، والحرية السياسية التي ينعم بها المسلمون، شرايين حياة في جسم الأمة الإسلامية تجري منها دماء العافية والقوة العلمية والثقافية والاقتصادية، ممثلة بمدارس العلم وحركة العلماء والتجار ورجال السياسة وتنقلاتهم بين هذه المساجد الثلاثة دون قيود أمنية أو سياسية أو اقتصادية، لترسّخ التعاون، وتزكي التفاعل بين أبناء الأمة الواحدة حتى إذا غابت شمس الخلافة الإسلامية فرض المستعمر التقسيم السياسي أو التبعية الاقتصادية والسياسية، وما نتج عنها من تخلف وضعف لا يزال مع الأيام ينمو ويشتد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويحمل أبناء هذه الأمة مسؤوليات عظيمة في مواجهة تحديات القطيعة والانقسام والتخلف.

**التحديات في نظر ساسة الغرب:**

لعل من أكثر النصوص توضيحاً للتحديات الثقافية والسياسية التي تواجهها أمتنا العربية والإسلامية ما ذكره (باول شمتز) في كتابه (الإسلام قوة الغد العالمية)، الذي استهدف مؤلفه تبصير الغرب بعناصر القوة في الإسلام ليأخذ حذره، ويعد خطته لمواجهتها، ولتتحول عناصر القوة هذه إلى تحديات للمستعمر ليرسم خطته لتفتيت هذه العناصر وحرمان الأمة العربية والإسلامية منها، وإبقائها تحت قيود التخلف والانقسام والتبعية.

يقرر (باول شمتز) أن عناصر القوة التي يملكها المسلمون أربعة (وهي تشكل أربعة تحديات للوجود الاستعماري تتطلب مواجهات لتفتيتها وهدرها):**التحدي الأول: الموقع الاستراتيجي الذي يحتله المسلمون في العالم**: وهذا يقتضي إقامة جسم غريب في هذه المنطقة يحرمها من ميزات هذا الموقع، ويحولها إلى الغرب. وكان هذا الجسم هو إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين.

**التحدي الثاني: النمو البشري لدى المسلمين**: وهو نمو يهدد في المستقبل تفوق الغرب، وهذا ما عبر عنه (شمتز) بقوله: (تشير ظاهرة نمو السكان في أقطار الشرق الإسلامي إلى احتمال وقوع هزة في ميزان القوى بين الشرق والغرب، فقد دلت الدراسات على أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوروبية).

وينظر الغرب إلى تزايد عنصر الشباب في المجتمع العربي الإسلامي بعين الحذر، ويرسم خططه الماكرة لهدر هذه القوة بالطوق التالية: -

أ - فصل التعليم الثانوي والجامعي عن حاجات المجتمع العلمية والزراعية والصناعية والعمرانية والجهادية العسكرية، وتخدير شباب الأمة بالشهادة المتوسطة والجامعية التي لا يجد بعدها الشاب عملاً منتجاً!

ب - فتح أبواب الهجرة أمام الشباب للانخلاع من الوطن.

ج - تشجيع المخدرات والمساعدة على تهريبها ونشرها بين الشباب.

د - تشجيع الفكر المنحرف الذي يجتث ولاء الشاب لدينه ولأمته ووطنه.

هـ - تشجيع الإعلام المنحرف الذي يقتل في الشباب روح المقاومة والانتماء والجهاد ويشيع بينه اللهو والفاحشة، ويصرفه عن حسن المقاومة والثأر من العدو الذي اغتصب أرضه وشرد شعبه، وقتل أبناءه.

و - قتل روح الطموح والإبداع والعمل عند الشباب الذي لا يجد بعد كفاحه الطويل في ميدان التعليم الجامعي والمتوسط راتباً يهيئ له السكن والعيش الكريم.ز - تشجيع تحديد النسل، وحماية الجمعيات الداعية له وإمدادها بالمال و الخبرات.

**التحدي الثالث: (الثروات والمواد الخام في بلاد المسلمين)**

وهي ثروات كبيرة يستطيع بها المسلمون بناء قوة صناعية تضارع أرقى الصناعات العالمية إن لم تفقها، وسوف تزداد هذه الثروات في وقت تقل فيه ثروات البلاد الأخرى.

وقد واجه الغرب هذا العنصر من عناصر القوة وحوله إلى عنصر ضعيف وإفساد، بإقامة كيانات ضعيفة في بلاد البترول يرتبط حكامها به سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، وإحكام ربط أرض العرب الغنية بآبار البترول بمعاهدات عسكرية دفاعية حولت هذه البلاد إلى قواعد استعمارية أمريكية وغربية، واغتصبت بترول العرب والمسلمين عن طريق هؤلاء الحكام، وحرمت الأمة من أعظم مصادر قوتها المادية والصناعية، ولم يكتف بذلك بل حول هذه الكيانات إلى محميات ومراكز عدوان على العراق، القطر العربي الذي مضى في طريق بناء قوته العسكرية والعلمية والصناعية، من أجل هدر قوته البترولية.. ثم ضرب قوته العسكرية والعلمية حماية لأمن إسرائيل ووجوها واحتلالها لأرض فلسطين أرض الإسراء والمعراج، وما تحمله من تحديات تهدد الوجود العربي والإسلامي أرضاً وحضارة ومقدسات.

**التحدي الرابع: الإسلام**

الإسلام هو أهم عناصر القوة في المجتمع الإسلامي وأخطرها ويصف (شولتز)الإسلام: بأنه ذلك الدين الذي له قوة سحرية على تجميع الأجناس البشرية المختلفة تحت راية الوحدة، بعد إزالة الشعور بالتفرقة العنصرية من نفوسهم، وله من الطاقة الروحية ما يدفع المؤمن به إلىالدفاع عن أرضه وثرواته بكل ما يملك مسترخصاً في سبيل ذلك كل شي حتى روحه.

أي قوة وجدانية بعثت هذه الإرادة في العالم الإسلامي، قوة الوحدة الفكرية للإسلام، ووجود الإحساس الحي للدين الإسلامي فهو ينتصر في كل مكان ينزل فيه الميدان مع الأيديولوجيات الأخرى. إن اتجاه المسلمين نحو مكة موطن الإسلام الأول عامل من أهم العوامل في تقوية وحدة الاتجاه الداخلي بين المسلمين، وأسلوب يضفي على جميع نظم الحياة في المجتمع الإسلامي طابع التماسك وصفته([[1]](#footnote-1)).

وقد سلك المستعمر بعد احتلاله لبلاد المسلمين وسقوط دولة الخلافة العثمانية طرقاً متعددة لمواجهة قوة الإسلام ورابطتها وآثارها منها:-

أ - تمزيق وحدة العالم الإسلامي السياسية بإقامة كيانات على أسس إقليمية وعشائرية وطائفية.

ب - تكريس هذا التمزيق الإقليمي بدعمه بتمزيق ثقافي، وذلك بتشجيع الدعوة إلى الفرعونية في مصر، والأشورية في العراق، والفينيقية في سورية، وإحياء النزعات الإقليمية والطائفية، والمذاهب الباطنية، فالمستشرق الفرنسي (ماسينيون) هو الذي قام بإعادة كتابة العقائد النصيرية على أسس فلسفية ليعطيها قوة،ً ويشجع بقاءها في سورية بعد أن رأى ذوبان النصيريين في الشيعة، وكذلك الدعوات إلى فصل العروبة والقوميةالعربية عن الإسلام فنشأت في أحضان الجامعات الأمريكية في بيروت والقاهرة بعد أن غذاها المستشرقون وجعلوا المثال الغربي للشباب العرب قدوة يحتذونها في التخلص من التخلف السياسي والعلمي والاجتماعي، دون أن يفرقوا بين طبيعة المجتمعات والأديان والحضارات.

ولعل تقرير اللجنة الدولية التي تألفت بأمر (السير هنري كاسبل باترمان) أحد رؤساء الوزارات البريطانية السابقين سنة 1907، يلقي ضوءاً على مخططات المستعمر لمصادرة مراكز القوة وأسبابها التي تهدد مصالح المستعمر في بلاد المسلمين، والتي تشكل تحديات مزدوجة فهي بالنسبة إلى المستعمر تعني أخطاراً لا بد من إزالتها ودفعها، وبالنسبة إلى الأمة العربية تعني القوة التي بها يدفعون عن أنفسهم خطر الهلاك والإبادة وتعنيمواجهة خطط المستعمر التي رسمها لحرمانهم من القوة وأسبابها.

يقول التقرير إن (الخطر الأكبر على الاستعمار يكمن في منطقة (الشرق الأوسط) فهذه المنطقة مهد الحضارات والديانات، ويسكنها شعب تتوافر له من وحدة تاريخه ولغته ومثله وآماله، وثرواته الطبيعية ونزعة أهله إلى التحرر ما يجعله مؤهلاً للنهوض من جديد، وانتزع قيادة الحضارة البشرية...

أما كيفية مواجهة الخطر الذي يهدد المصالح الاستعمارية فكان من بين عناصرها فصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي بإقامة حاجز بشري قوي وغريب يملأ الجسر البري الواصل بين القارتين، بحيث يشكل في هذه المنطقة وقريباً من برزخ السويس قوة صديقة للاستعمار الأوروبي ومعادية لأهل البلاد.

وقد حرص الغرب عل تحقيق هذا الاقتراح بكل قوة حيث غرس قوة صديقة للاستعمار الأوروبي ومعادية لأهل البلاد وهي (إسرائيل)، وقد أقام كذلك كيانات مفككة يحرم عليها امتلاك أية قوة تهدد أمن إسرائيل ووجودها، كما يحرم عليها تهديد أمن إسرائيل بالسماح للمجاهدين بالانطلاق من أرضها إلى فلسطين المحتلة.

ورسم لهذه الكيانات سياسة تربوية وإعلامية وقانونية تقوم على إبعاد الإسلام عن الحياة، عقيدة وشريعة ونظام حياة، وتعوّد الحياة الغربية فيأسلوب طعامها ولباسها وسلوكها، حتى يحرمها من قوة الأصالة والتميز الحضاري، ويسهل عمليات التطبيع والذوبان الحضاري في قبول الجسم الغريب القاتل لوحدتها وقوتها ووجوها والمكرس لأسباب ضعفها وهلاكها، وبلغ الأمر ببعض هذه الكيانات أن تحرض صحفها ورجال حكمها الولايات المتحدة الأمريكية على الاعتداء على العراق، بعد أن حركت جيوشها لتشارك القوات الصليبية الغازية في عدوانها على العراق من منطقة حفر الباطن!

لقد كانت جريمة العراق في نظرهم أن يمتلك القوة العلمية والتكنولوجية والعسكرية التي تهيئ له الدفاع عن أرضه والتحرر من الهيمنة الاستعمارية.. فرسموا الخطط وسخروا العملاء وقادوا الجيوش لتحتل أمريكا وحلفاؤها الجزيرة العربية ومنابع النفط من جديد، وليعلن بوش النظام العالمي الجديد الذي تقود فيه الولايات المتحدة العالم لحماية مصالحها، والاعتراف بالشرعية الدولية التي تحرم على أهل فلسطين بلدهم، وتفتح أبوابه للغرباء اليهود الذين يهاجرون إليها من أنحاء الأرض تبني لهم المستوطنات وتقدم إليهم السلاح والمال والجنود.

وفي ظل الشرعية الدولية تستباح أموالنا وثرواتنا ومقدساتنا وشعوبنا، وفي ظل الشرعية الدولية تـُحمى الحكومات المستبدة، ويُحمى الحكام الوالغون في دماء شعوبهم المعطلون للديمقراطية وللدستور والمصادرون للحريات، ما دام هؤلاء الحكام يقومون بوظيفتهم في حماية المصالح الأمريكية والغربية وحماية أمن إسرائيل، وحرب الإسلام عقيدة وخلقاً وتربية وجهادا.

ولم تقتصر الولايات المتحدة الأمريكية على دعم الأنظمة الموالية لهاالخانقة للحريات، المحاربة للإسلام بل مد ت يدها إلى الحركات والتنظيمات الحزبية المعادية للإسلام تمدها بالمال والدعم ولو كانت لا تتفق مع هذه الحركات في أهدفها الفكرية..

يقول (إيدن) رئيس الوزراء البريطاني الأسبق في مذكراته (إن أمريكا في الخمسينيات راحت تنفق أموالها على نطاق مسرف لإعانة الشيوعية في الشر ق الأوسط، وكان غرض أمريكا من نشاطها السياسي والثقافي والعلمي في هذه المنطقة هو محاربة المبادئ والعقائد الروحية والدينية التي يؤمن بها سكان المنطقة)(1). أما الزعيم الشيوعي (كاسترو) فإنه ينصح (إسرائيل) ألا تترك الحركة الفدائية تتخل طابعاً إسلامياً دينياً لأن ذلكيجعل منها شعلة من نار الحماس الديني، مما يجعل من المستحيل على إسرائيل أن تصون كيانها معه لأن الفداء إذا تملكته عقيدة دينية، وبخاصة في المجتمعات الإسلامية تلاشت أمامه كل العقائد الأخرى بما فيها الماركسية(2).

(1) مذكرات إيدن، ص 343، الطبعة الإنجليزية، نقلاً عن (المسلمون والبديل الحضاري، للدكتور حيدر الغدير)، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ص 36- 37، وانظر ما نقله صاحب هذا الكتاب عن باول شمتز ص 34- 36.(2) المسلمون والبديل الحضاري، د. حيدر عبدالكريم الغدير ص 37، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

1. )) الإسلام قوة الغد العالمية، لباول شمتز، ترجمة الدكتور محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة (1976). [↑](#footnote-ref-1)